



خطبة صلاة الجمعة 9 / 8 / 2019 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(يوم عرفة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتبا، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 77، 78]

أخرج الإمام مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِ الْمَلَائِكَةَ».

وأخرج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ؛ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ».

عنوان خطبة اليوم: يوم عرفة

أيها الإخوة:

نستقبل غداً أفضل أيام الدنيا، يومٌ يجتمع فيه العباد من أصقاع الأرض على صعيد عرفات بلباس واحد وبصوت واحد وبتوجه واحد يعلنون توحيدهم لله وتوبتهم له وإقبالهم عليه وامتنانهم أمره واجتنابهم نهيه، شعناً غبراً، ضاحين ملبين، فتشملهم الرحمة ثم تنتشر على المقبلين على الله تعالى من أهل الأرض قاطبة.

روى ابن حبان في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يومٍ أفضلَ عند الله من يومِ عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي؛ شعناً غبراً ضاحين؛ جاؤوا من كلِّ فجٍّ عميقٍ، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يرَ يومٌ أكثرَ عتقاً من النار من يومِ عرفة»

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم عرفة:

«أيها الناس:

إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ: وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ... وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ...

فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ...

وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَصِلُوا بَعْدَهُ؛ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ.

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَذَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ

-بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِنُهَا إِلَى النَّاسِ-: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

حوت الخطبة أربع فقراتٍ مهمّةٍ جداً، وخاتمةٌ مؤثرة..

الفقرة الأولى: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» :

فلا يجوز في الإسلام الاعتداء على دماء الآخرين ولا على أعراضهم ولا على أموالهم، ومن فعل كان كمن اعتدى على حرمة البلد الحرام والشهر الحرام ويوم عرفة.

- شابُّ في العقد الثالث من عمره، له عَمَّةٌ طاعنةٌ في السِّنِّ، وحيدةٌ بلا زوج ولا أولاد، تسكن بيتاً ورثته عن والدها، ما زال يتودَّدُ لعمته، ويخدمها ويتلطف بها، ويطلب إليها أن تسجل البيت باسمه في الدائرة العقارية ليفيد منه في زواجه؛ إذ لا حيلة له ولا مال.

نزلت المسكينَةُ على رغبته، فلمَّا فعلتْ، ومرَّ عامٌ على الأمرِ، أخرجها من البيت، لتؤدَّع في دار رعاية المسنين!

«إنَّ دمَاءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا».

الفقرة الثانية: «ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليةِ تحتَ قدميَّ موضوعٌ»:

ثارات الجاهلية موضوعةٌ، وربَّما الجاهلية موضوعٌ، والجاهلية برمَّتها -فكراً، وسلوكاً، واعتقاداً... مرميةٌ تحت قدمي المسلم.

فالإقبال على الله والتمسك بدينه يقتضي التبرُّؤ من الجاهلية: من أفكارها ومبادئها وعاداتها ومظاهرها. الرِّبَا، الثَّأر، تبرج النِّساء، العلاقات غير المشروعة بين الرِّجال والنِّساء، والموائد التي تُدار عليها الخُمور، وحفلات المجون، وطاولات الميسر والقمار... كلُّ هذا وأشباهه يرميه المسلم وراء ظهره، وينطلق إلى الله تعالى، ينطلق إلى العلم النافع والعمل الصالح يتقرب بهما إلى ربه.

الفقرة الثالثة: «فاتَّقوا الله في النِّساء، فإنَّكم أخدموهنَّ بأمان الله..»:

هذه الوصية بالنِّساء تنبيهاً للعلاقات الأسرية، واهتماماً بالمرأة الأمِّ، والمرأة الأخت، والمرأة البنت، والمرأة الزَّوجة..

إنَّ أسمى ما يتوقَّع الوصول إليه دعاة المساواة بين الرِّجل والمرأة اليوم أن تصير المرأة مساويةً للرِّجل في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، لكن ما أعطاه الإسلام للمرأة أمَّاً وأختاً وزوجةً وبنتاً، أغلى من هذا كلّه بكثير وأعلى.

فالابن يدخل الجنة ببر أمه وخدمتها والتواضع لها!

أخرج ابن ماجه عن طلحة بن معاوية السِّلَمي عن أبيه رضي الله عنهما، قال: أتيت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إنِّي أريد الجهاد في سبيل الله، قال: «أملك حيَّة؟» فقلت: نعم، فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الزَّمْ رَجُلَهَا، فَتَمَّ الْجَنَّة».

والبنت أو الأخت أو العمات أو الخالات ، كل منهم ستر لمن يرعاهن من النار؛ أخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».

الفقرة الرابعة: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به...»:

فالقرآن الكريم والسنة الشريفة، سفينة نجاتنا في الدنيا والآخرة، ونحن قوم أعزنا الله بهما، ومهما أردنا العزة بغيرهما فارقتنا العزة.

هذه فقرات خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة الأربع، ثم تأتي الخاتمة المؤثرة، فقد أرسل الله تعالى رسوله بشيراً ونذيراً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حريص جداً على امتثال أمر الله تعالى، خائف ألا يكون أدى الذي أمر به؛ وها قد اكتمل الدين وتمت الرسائل ودنا الأجل وقرب الرحيل إلى الله تعالى ، لذا نجده صلى الله عليه وسلم في خاتمة الخطبة يستنطق الناس الجواب: «هل بلغت؟» فلمّا قالوا: نعم بلغت، ونصحت، وأديت، راح يُشير بأصبعه إلى السماء، وإلى الناس «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».

أيها الإخوة:

هذه خطبة الوداع بفقراتها الأربع وخاتمتها، وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو كلا منا في خطبته إلى هذه الخمس:

(1) اجتناب الحرام، في الدماء والأموال والأعراض.

(2) التبرؤ من الجاهلية: أفكارها ومبادئها وعاداتها ومظاهرها.

(3) تقوى الله، في النساء والإحسان إليهن.

(4) التمسك بالقرآن والسنة.

(5) تبليغ رسالة الله لمن تستطيع.

فتعالوا نتمسك بهذه الأربعة لنسعد في الدنيا والآخرة، تعالوا نغنم يوم عرفة بالصيام والدعاء والاستغفار والتوبة.

أخرج الإمام مالك في الموطأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ».

وأخرج الإمام الترمذي عن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم قال: أَكْثَرُ مَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ، اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي، وَإِلَيْكَ مَائِي، وَلَكَ رَبِّ ثَرَاتِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَوَسْوَاسَةِ الصُّدْرِ، وَشَتَاتِ الْأَمْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ».

الخطبة الثانية:

تعلمون أن أفضل عمل يتقرب به العبد إلى الله تعالى يوم النحر هو ذبح الأنعام تقربا إلى الله تعالى.

أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هِرَاقَةِ الدَّمِ، وَإِنَّهُ لَتَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِالْأَرْضِ، فَطَيَّبُوا بِهَا أَنْفُسًا».

وينفع أن أعرض عليكم مجموعة أسئلة مع أجوبتها في أحكام الأضحية.

1- ما حكم الأضحية:

الجواب: ذهب جمهورُ الفقهاء إلى أَنَّ الأضحيةَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ؛ وذهب أبو حنيفة ومالك في أحد قوليه إلى أنَّها واجبةٌ.. واستدلُّوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ومُطلقُ الأمرِ لِلْجُوبِ، ومتى وجب على النبي صلى الله عليه وسلم وجب على الأمةِ لِأَنَّهُ قُدُوْهُهَا.

وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّاتَنَا» [ابن ماجه والحاكم ووافقه الذهبي] وهذا كالوعيدٍ على تركِ التَّضحية، والوعيدُ إِنَّمَا يَكُونُ على تركِ الواجبِ.

2- هل تكفي أضحية واحدة عن أهل البيت كلهم؟

الجواب: نعم عند جمهور العلماء يُضَحِّي الرجل بالأضحية الواحدة عن نفسه وأهل بيته، بينما جعل الحنفية الأضحية الواحدة تُجْزئُ عن شخصٍ واحدٍ. ولا تجزئ عن أهل البيت كلهم.

3- هل نضحى عن الميت:

الجواب: إذا أوصى الميتُ بِالتَّضحية عنه، جازت التضحية عنه بِالاتِّفَاقِ.

أما إذا لم يُوصِ بها وأراد أحد أن يُضحِّي عنه من مال نفسه، فذهب الجمهور إلى جواز التضحية عنه، وقد صحَّ أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحَّى بكبشين أحدهما عن نفسه، والآخر عمن لم يُضحَّ من أمته.

وذهب الشافعية إلى أن الذبح عن الميت لا يجوزُ بغير وصية أو وقفٍ.

4- هل يقوم غير الأضحية من الصدقات مقامها؟

لا يقوم غير الأضحية من الصدقات مقامها لأنها شعيرة من شعائر الله ، والأصل أن الوجوب إذا تعلّق بفعلٍ مُعيّن لا يقوم غيره مقامه كالصلاة والصوم.

5- هل يجوز ذبح ذبيحة واحدة بنية الأضحية والعقيقة؟

الجواب: لا يجوز ذلك عند الشافعية والمالكية وإحدى روايات أحمد لأن كل واحد من الفعلين مقصود بذاته، خلافاً للحنفية الذين أجازوا ذلك وعللوا قولهم بأن المقصود التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم فتدخل إحدى الطاعتين في الأخرى. فليأخذ الموسر بالقول الأول يأخذ من قدر عليه رزقه بالثاني، والله أعلم

والحمد لله رب العالمين